

رصد أسماء وألقاب النساء من خلال الكتابات الأثرية شواهد قبور- نموذجاً -

د. نبيلة حساني*

تميزت المرأة الزيانية التي تنتمي الى الطبقة الحاكمة باتخاذ الألقاب مثل الحاكم والسلطان، فقد كانت من مراسيم السلطة، كذلك هو الشأن بالنسبة للمرأة العامية، ويلاحظ على ألقاب زوجات السلاطين وأمهاتهم وبناتهم ونساء الطبقة الحاكمة أنها كثيرة ومرتبطة، واستمر النعت بهالي غاية نهاية عصرالدولة التركية بالجزائر. ويدل تنوع هذه الألقاب على المكانة التي حازتها المرأة في المجتمع الزياني، وكانت أحياناً المرأة الواحدة تتلقب بعدة ألقاب نذكر من بينها على سبيل المثال لا الحصر: الحرة الزكية الطاهرة الفاضلة الكاملة الزاهدة بنت السلطان الزياني أبي عبد الله محمد^١.

والمعلوم أن هذه الأسماء والألقاب كانت تتبع الدلالة الاجتماعية للانسان، وعلى هذا الأساس كانت أسماء نساء المغرب الأوسط ونعوتها تنقسم إلى قسمين حسب معاشر عليه في شواهد قبور من خلال مجموعة متحف تلمسان:

— أولاً: علاقة القرابة والانتماء الاجتماعي، ونعني به انتماء المرأة الى طبقة معينة من طبقات المجتمع، إذ تنقسم طبقات المرأة في المجتمع المغرب الأوسط الى: حرائر وإماء، شأنها شأن المرأة المشرقية، ولكل طبقة ما يندرج تحتها حالات اجتماعية، هذا جانب، والجانب الآخر الانتماء المهني للمرأة، كالمعلمة، والفقيرة والطبيبة،،، الخ، كذلك وردت بعض الأوصاف الأخلاقية المحببة لها، مثل الكريمة، والمتدينة، والمחסنة، والحاجة،،، الخ.

— ثانياً: مراحل عمرها وجاء في ثلاث مجموعات دلالية أصيلة وتشمل: الطفولة والبلوغ، والشباب، والشيخوخة.

نذكر الأسماء والألقاب على سبيل المثال لا الحصر:

— الحرة: وهي نقيض الأمة، ومنه حديث عمر رضي الله عنه، قال للنساء اللاتي كن يخرجن إلى المسجد: "لأردن تكن حرائر" أي لا لزممكن البيوت فلا تخرجن إلى المسجد، لأن الحجاب إنما ضرب على الحرائر دون الإماء^٢.

— أمة: أصبحت تطلق على النساء بوجه عام في الاسلام غير أنها مركبة مع لفظ الجلالة "أمة الله" أو "أمة الرحمان"^٣.

* جامعة الجزائر كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية قسم التاريخ

^١ لقد اعتنمت بالدرجة الأولى على كتاب الذي قام بإعداده كل من الأستاذين عبد الحق معزوز ولخضر درياس: جامع الكتابات الأثرية العربية بالجزائر، ج٢، ص٩٣.

^٢ ابن منظور: لسان العرب، ص ١٨١.

- الجلييلة : كان هذا اللقب يسبق الاسم العلم للمرأة ويطلق على نساء الطبقة الحاكمة ذات أصول شريفة، مثل زوجة السلطان الزياني " الحرة الجلييلة المنعمة ملوكة " بنت الشيخ عثمان بن مشعل، وزوجة السلطان الملك أبي عبد الله محمد الطاهر^٤ .

- السيدة : لقب عام أطلق على النساء من أميرات قصر الخلافة من زوجات وأمهات وأخوات وكرائم وعمات الخلفاء وكذلك بعض نساء شيوخ القبائل، وكمثال علي هؤلاء و"السيدة ملوكة " بنت الشيخ يعقوب المتوفاة عام (٨٧٥ هـ / ١٤٧٠ م)^٥ وغيرهن^٦ .

- الشريفة: هذا اللقب من الشرف، ولقد ظهر في الدولة الإسلامية ويطلق على أقرباء النبي وأهل بيته بصفة عامة، ولقد صار لقبًا عامًا في كل عباس في بغداد وعلوي في مصر والمغرب^٧، استمر هذا اللقب يدل على أبناء فاطمة (رضي الله عنها) حتى وقتنا هذا .

وأما النساء الشريفات، فكن يتصفن بالتقوى والزهد، وليس أدل على ذلك من حياة السيدة المنوبية.

ولقد وجدت شواهد قبور لنساء بني زيان ،في متحف تلمسان وكانت بعضها من الرخام، مما يدل على ثراء بعضهن، أو على الأقل قد تلقين رعاية من الحكام كما كن يتميزن بميلهن للعبادة والتقوى^٨، وكان لقب " الشريفة " يطلق على كل نساء الطبقة العليا والمتوسطة أيضًا، ذات أصول آل البيت مثل الأميرة "الشريفة تاحضريت" بنت السلطان أبي حمو الزياني(ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م)^٩.

- أم ولد: هذا اللقب قد أطلق على الجارية أو الأمة التي أنجبت من سيدها ولدا ثم أعتقها وتزوجها، ويقال حررها ولدها وتسمى بـ "أم ولد"^{١٠}، مثل ماجاء في شاهد لامرأة تدعى فتوحة أم ولد أبي العباس أحمد العقباني، وهي من عامة الناس^{١١} .

- الحرّة المكرمة : هذا اللقب يسبق الاسم العلم للمرأة، ويستخدم لنساء الطبقة الحاكمة والعليا، واشتهرت به " الحرّة المكرمة العالية"^{١٢} بنت الأمير عمر بن السلطان أبي حمو موسى الثاني.

^٣ الزمخشري: الكشاف ، ج ١، ص ٥٠٠.

^٤ معزوز ودرياس: م س، ج ٢، ص ص ١٠٠، ١٠١.

^٥ نفسه، ج ٢، ص ص ٥٠، ٥١.

^٦ القاضي عياض: ترتيب المدارك، ج ٨، ص ٦٨، وما بعدها.

^٧ القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٦، ص ١١٧.

^٨ معزوز ودرياس: م س، ج ١، ص ص ٩٢، ٩٣.

^٩ نفسه، ج ٢، ص ص ٤٠، ٤١.

^{١٠} ابن منظور: م س، ١٥٦

^{١١} معزوز ودرياس: م س، ج ١، ص ٨٢.

- النساء: يقال نسوة ونساء: إذا تأخر حيضها ورجي حبلها^{١٣}، والنسوة والنسوة بضم النون وكسرهما، والنساء والنسوان جمع المرأة من غير لفظه^{١٤}، والنساء: جمع نسوة إذا كثرن^{١٥}، وأفادنا صاحب الذخيرة السنية: "أن أهل الجمال من النساء الفقيرات تجب عليهن الصدقة مخافة فسادهن وأن القبيحات لا يتصدق عليهن بشيء حتى يستغنى الملاح"^{١٦}، وأفادنا ابن عبد ربه إلى طبقات النساء بتفصيل^{١٧}، أما الوزان فقد ذكر أن "نساء نكاوس جميلات بيض البشرة سود الشعر اللامع، لأنهن يترددن على الحمام، ويعتنين بأنفسهن"، وكذلك نساء تونسيات، وغيرهن^{١٨}.

- البكر: التي لم تفتض، وجمعها أ بكر، والبكر من النساء التي لم يقبرها رجل، وكذلك لم يقرب امرأة، والبكر: العذراء^{١٩}.

- زوجة: الزوج: الفرد الذي له قرين، والزوج: الإثنان، وزوج المرأة بعلها، وزوج الرجل: المرأة ج. أزواج وزوجة^{٢٠}، قال الكساني أن أكثر كلام العرب بالهاء قولهم هي زوجته^{٢١}، وقد وردت في القرآن الكريم بغير هاء "أسكن أنت وزوجك الجنة"^{٢٢}.

- صبية: كان هذا اللقب يسبق الاسم العلم للبنات الغير البالغ، ويطلق على من لا يتجاوز عمرها سبع سنوات، وقد كشفت الدراسات الحديثة أسماء بعض الصبيات من خلال اكتشاف شواهد قبورهن^{٢٣}.

نماذج من هذه الأسماء والألقاب على سبيل المثال لا الحصر:

* أمة الله، أمة الرحمان، أمة الحق .

الشاهد: ص ٢٢، لوحة رقم ١

النص:

نقرأ في كتابة الشاهد ما نصه:

^{١٢} ابن أبي زرع: الذخيرة السنية ، ص ٩٣

^{١٣} ابن منظور: م س، ص ١٦٨ .

^{١٤} نفسه، ص ٣٢١

^{١٥} عبد المنعم سيد عبد العال: الشامل لجموع التصحيح والتفسير في اللغة العربية، ج ٣، ص ٤٧٠

^{١٦} ابن أبي زرع: الذخيرة السنية، ص ٣٢ .

^{١٧} ابن عبد ربه: م س، ص ٢٢٤ .

^{١٨} الوزان: العقد الفريد، ج ١، ص ٤٧، ٥٦، ٦٠، ج ٢، ص ٣٨، ٥٣ .

^{١٩} ابن منظور، م س، ص ٧٨، الوئشريسي: المعيار، ج ٣، ص ٣٨٥، ٣٨٦

^{٢٠} عبد المنعم سيد عبد العال: م س، ج ٢، ص ٢٠٧، ٢٠٨ .

^{٢١} ابن منظور: م س، (ز و ج) ، ص ١٤٠ .

^{٢٢} الآية ٣٥ من سورة البقرة .

^{٢٣} معزوز ودرباس: م س، ج ٢، ص ٩٠، ١١٢ .

- ١/ هذا قبر الحر./
- ٢/ العجيلة الشريفة الحس./
- ٣/ الحسينية أمة الله فاطمة بنت./
- ٤/ الشريف الحسن مولاي محمد./
- ٥/ بن السجلماسي توفيت بالوباء./
- ٦/ رحمة الله عليها عام./
- ٧/ ثلاثة عشر ومايتين./

تتضمن اسم امرأة تدعى فاطمة بنت مولاي محمد بن السجلماسي، التي توفيت بداء الوباء كما تشير إلى ذلك الكتابة، هنا إشارة على انتشار هذا المرض في هذا العام، يعود نسب هذه السيدة الى أصول سجلماسية بجنوب المغرب، توفيت فيعهد حكم الداوي مصطفى باشا (١٢١٢ - ١٢٢٠هـ / ١٧٩٨ - ١٨٠٥م) ^{٢٤}.

الوصف:

شاهد قبر من حجر رملي أسطواني الشكل لونه أمغر شبيه بالشاهد السابق، تعلوه رقبة نقشت عليها وريدة ذات إحدى عشر بتلة، يبلغ قطر الحقل الدائري ٣٥سم يؤطره شريط زخرفي قوامه سلسلة من الحلقات بعرض ٥،٤سم لازال في حالة جيدة. نقشت عليه كتابة شاهدة بخط النسخ مع خليط من حروف الخط العربي، نفذت بأسلوب النقش البارز على أرضية فرشت بقليل من العناصر الزخرفية النباتية، تحتوي على نقط الإعجام وحركات الإعراب، تتميز باستقامة سطورها وتناسب حروفها رغم الضغط الملحوظ في آخر النص، وتقع في ثمانية أسطر شاعلة مساحة الحقل الدائري. يبلغ ارتفاع صواعدها الطويلة ٥،٣سم وعرضها ٥،٥مم والمنخفضة بلغ ارتفاعها ١،٥سم ^{٢٥}.

الشاهد: ص ٢٣، لوحة رقم ٢.

النص:

نقرأ في كتابة الشاهد ما نصه:

- ١/ أمة الرحمان بنت عمر بن يعقوب ابن حمو ابن طلحة بن اغموراسن
- ٢/ توفيت يوم اثلاثة - كذا - في اوائل رجب سنة خمسة وعشرين وثمانية مائة. هذا النص لبنت تتحدر من الأسرة الزيانية الحاكمة ^{٢٦}، وصادف تاريخ وفاتها هذه البنت حكم السلطان مولاي سعيد بن حمو الذي حكم مدة عشرة ايام، اما فيما يتعلق

^{٢٤} عبد الحق معزوز ولخضر درياس: مرجع سابق، ص ٣٦، ٣٧. ينظر أيضا:

Brosselard ; Memoire epigraphique et historique sur les tembeaux des emirs Beni - Zeiyan , Journal Asiatique, Janvier-Fevrier, 1878, pp6, 194 ;

^{٢٥} نفسه

^{٢٦} ابن خلدون : بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد، ج ١، ص ٥، ٤، ٥، ٢٥٤.

دراسات في آثار الوطن العربي ١٠

بالنص الضائع حسب الباحث معزوز عبد الحق فإنه يمكن افتراض صيغة الحمد لله والصلاة على النبي أو ما يسمى بعبارات الاستهلال في السطر الأول وربما الدعاء في السطر الثاني^{٢٧}.

الوصف:

شاهد قبر من الرخام ابيض اللون من النوع الذي يعرف بالمقبريات ذو شكل موشوري، وهو عبارة عن هرم مدرج مكون من قمة موشورية ممتدة مباشرة فوق القاعدة على غرار الشواهد من هذا النوع، يفصل بينهما اطار زخرفي بعرض ٢سم، تعرض الشاهد حسبما يبدو الى تلف، لهذا ضاع قسم كبير منه.

يحمل الشاهد كتابة شاهدية منقذة بخط النسخي المغربي، بأسلوب النقش البارز على ارضية مزينة بزخارف نباتية ومنتضمنة لنقط الاعجام ، كما تتميز بشيء من التناسب والرصف الجيد، من ذلك بلغ ارتفاع صواعدها الطويلة ٥٥سم، وعرضها ٥سم، والمنخفضة بلغ ٥٢ سم^{٢٨}.

الشاهد:ص ٢٤، لوحة رقم ٣.

النص:

نقرأ في كتابة الشاهد ما نصه:

- ١/ الحمد لله /
٢/ هذا قبر الحرة الجليلة /
٣/ المغفورة لها أمة الحق /
٤/ بنت السيد الفقيه العالم /
٥/ المدرس القاضي ابي يحيى العقباني /
٦/ توفيت رحمة الله عليها يوم /
٧/ الجمعة سابع عشر في شوال /
٨/ عام سبعة وثمانين /
٩/ وتسعمائة /

تشير الكتابة الى لقب المتوفية، لم يرد اسمها في النص بينما ذكر اسم أبيها وهو العالم المدرس والقاضي أبي يحيى العقباني^{٢٩}.

الوصف:

شاهد قبر عبارة عن لوحة مسطحة مستطيل الشكل من الحجر الرملي، مزين بقوس دائرية مفصصة يبلغ قطرها ٣٢سم، محاطة بتشكيلات زخرفية نباتية تشغل الاركان المحصورة بين القوس والاطار، نقش على وجه الشاهد كتابة شاهدية بخط مغربي بارز، ومزودة بنقط الاعجام وحركات الاعراب، تشغل الكتابة مساحة الدائرة، وتتميز

^{٢٧} عبد الحق معزوز ولخضر درياس: م س ج ٢، ص ٣٦، ٣٧، ينظر أيضا:

Brosselard : op-cit ; p 6,194 ;

^{٢٨} عبد الحق معزوز ولخضر درياس: مرجع سابق، ج ٢، ص ٣٧.

^{٢٩} حول موضوع اسرة العقباني التلمسانية ، ينظر ، نبيلة عبد الشكور: القضاء والقضاء في عهد الدولة الزيانية، ص ١٦ ، ٤٥٩.

دراسات في آثار الوطن العربي ١٠

باستقامة سطورها وتناسب حروفها، بلغ ارتفاع صواعدها الطويلة ٥٠سم، وعرضها ١٠,٥ مم والمنخفضة بلغ ارتفاعها ١,٥ سم^{٣٠}.

* أم الولد:

الشاهد: ص ٢٥، لوحة رقم ٤.

النص:

نقرأ في كتابة الشاهد ما نصه:

- ١/ الحمد لله ./
٢/ هذا قبر الحرة الجلييلة ./
٣/ فتوحة أم ولد السيد./
٤/ الفقيه العالم النبي ابو/
- ٥/ العباس أحمد العباني ./
٦/ توفيت أواسط جمادى
٧/ الأخرى عام أربعة ./
٨/ وستين وتسعمائة./
- تضمن كتابة الشاهد اسم فتوحة أم ولد أبي العباس أحمد العباني^{٣١}

الوصف:

شاهد قبر عبارة عن لوحة مسطحة مستطيل الشكل من الحجر الرملي ، زين الشاهد بقوس مفصصة شبه دائرية يحيط بها إطار يبلغ عرضه ٥٠سم بداخله يمتد شريط زخرفي نباتي، وتشغل تشكيلة زخرفية نباتية الأركان المحصورة بين القوس والاطار، تبلغ المساحة المشغولة بـ ٤٠سم+٢٤سم.

نقشت على وجه الشاهد كتابة شاهدة بخط النسخ المشرقي الجميل، نفذت بأسلوب النقش البارز على أرضية تزينها عناصر زخرفية نباتية قوامها وريجات ثلاثية البتلات أضاف لها الفنان نقط الإعجام وحركات الإعراب، تقع في ثمانية أسطر شاغلة بذلك الحقل المحصور بين أحضان القوس المفصصة. وتتميز سطورها بالاستقامة والتناسب والاتساق، وقرمطة ما بين الحروف.

بلغ ارتفاع صواعدها الطويلة ٣,٥ سم وعرضها ٥٠سم والمنخفضة بلغ ارتفاعها ١,٥ سم وأما أطول سطر فيها فقد بلغ ٢٩سم.

* الصبية:

الشاهد: ٢٦، لوحة رقم ٥.

النص: تتكون كتابة الشاهد من النص الآتي:

- ١/ الحمد لله هذا./
٢/ قبر الصبية./
٣/ السعيدة عايشة./
٤/ بنت الحاج السيد./
- ٥/ محمد الوزناجي؟توفيت./
٦//
٧/ ...به وم... ./
٨/ و..... ./

^{٣٠} عبد الحق معزوز ولخضر درياس: مرجع سابق، ج ٢، ص ٣٧.

^{٣١} نبيلة عبد الشكور: م س، ص ١٤٧.

اسم المتوفية عائشة كما هو واضح في الكتابة ، مكتوب بطريقة عامية، ولسنا ندري معنى السعيدة هنا ؟.
الوصف:

شاهد قبر من الحجر الرملي مستطيل الشكل رمادي اللون، عبارة عن بلاطة نقش عليها مدخل بقوش مدببة، يبلغ ارتفاعه ١٦سم، محاط بأشرطة مزدوجة ومختلفة القياسات حيث بلغ عرض الشريط العلوي ٠٦سم والشريطان الجانبيان ٠٥سم، تشغل هذه الأشرطة زخارف هندسية مثل التهشيريات وأقواس مفصصة متقاطعة في حين زينت الأركان بمربعات مزدانة بوريدات، وأمد الشاهد فهو في حالة جد سيئة من جراء الخدوش التي تعرض إليها والتي أثرت تأثيرا بالغا على الكتابة والزخرفة في الوقت نفسه.

نقشت عليه كتابة شاهدة بخط النسخ رديء جدا، نفذت بأسلوب النقش البارز. تحتوي على نقط الإعجام، تتكون من ثمانية أسطر تحتل مساحة المدخل وتبدو كتابة هذا الشاهد بعيدة عن القواعد الخطية فيما يخص النسبة الفاضلة، يبلغ ارتفاع صواعدها الطويلة ٠٢سم وعرضها ٠٤مم والمنخفضة بلغ ارتفاعها ٠١سم. وأطول سطر ١٧سم، ولما آلت إليه هذه الكتابة بسبب ما أصاب الشاهد فقد صارت قراءتها عسيرة وغير مقروءة في غالب الأحيان إلا بشق الأنفس^{٣٢}.
* بنات العامة:

الشاهد: ص ٢٧، لوحة رقم ٦.
النص:

تتكون كتابة الشاهد من النص الآتي:

- ١/ الحمد لله./
٢/ هذا قبر ملوكة./
٣/ بنت الشيخ يعقوب./
٤/ توفيت في ربيع./
٥/ عام خمسة و./
٦/ سبعين وثمانماية./

تضمنت الكتابة اسم صاحبة الشاهد وهي سيدة تدعى ملوكة بنت الشيخ يعقوب ويلاحظ عدم وجود ألقاب في هذا الشاهد. وأما وفاتها فكانت في عهد السلطان الزياني أبو عبد الله محمد السادس (٨٧٣ - ٩١٠هـ / ١٤٦٨ - ١٥٠٥م)^{٣٣}.
الوصف:

شاهد قبر عبارة عن لوحة مستطيلة من الرخام ذي اللون الأبيض في حالة جيدة لم يتعرض لأي تلف، يحتل النقش أكثر من نصف مساحته من ذلك بلغت مساحة الحقل

^{٣٢} عبد الحق معزوز ولخضر درياس: مرجع سابق، ص ٣٦، ٣٧. ينظر أيضا:

Brosselard : op-cit ; p p6,194

^{٣٣} عبد العزيز فيلاللي: تلمسان في العهد الزياني، ج ١، ص ١٨.

دراسات في آثار الوطن العربي ١٠

٢٧سم×١٥سم، ويقع داخل إطار تعلوه قوس نصف دائرية مفصصة بينما يشغل الفراغ المحصور بين القوس وأركان الإطار زخارف نباتية.

نقشت الكتابة الشاهدية بخط النسخ الموحدبي، نفذت بأسلوب النقش البارز على أرضية تزينها زخرفة نباتية عبارة عن مراوح مزدوجة، بالإضافة إلى وجود نقط الإعجام، تتميز سطورها بالاستقامة، والتناسق فضلا عن التناسب بين مختلف الكلمات والحروف نتيجة لما وقع بينها من قرمطة، بلغ ارتفاع صواعدها الطويلة ٣سم وعرضها ١سم. والمنخفضة بلغ ارتفاعها ٥سم،^(٢)٣٤.

الشاهد: ص ٢٨، لوحة رقم ٧.

النص:

نقرأ كتابة الشاهد ما نصه:

١/ الحمد لله هذا./ ٤/ خالد توفيت في شهر./
٢/ قبر فاطمة بنت الشيخ عبد./ ٥/ شوال عام تسعة ت (سعين)/.
٣/ الله بن محمد بن موسى (بن)/. ٦/ وثمانماية./
صاحب الشاهد امرأة تدعى فاطمة بنت الشيخ عبد الله من محمد بن موسى بن خالد، لم نقف عن ترجمة تخص هذه المرأة ولأبيها.

الوصف:

شاهد قبر عبارة عن لوحة مسطحة مستطيلة الشكل من الحجر الرملي ذي اللون الامغر، أصيب بعدة كسور على مستوى الجزء السفلي وكذلك في الجهة اليسرى الأمر الذي أثر على النص الشاهدي. زين الشاهد بإطار تعلوه قوس مفصصة شبه دائرية وزخارف نباتية، تكاد هذه النقوش تشغل المساحة الكلية للشاهد، حيث تقدر مساحتها بـ ٣٥سم×٣٦سم، بينما يشغل الفراغ المحصور بين القوس وأركان الإطار الشاهد تشكيلة زخرفية نباتية.

نقشت على وجه الشاهد كتابة شاهدية بخط مغربي، تزينها بعض المراوح النخيلية، نفذت بأسلوب النقش البارز، زيادة على نقط الإعجام وحركات الإعراب. يشغل النص الشاهدي الحقل المحصور داخل الإطار ذي القوس المفصصة، يقدر قطر القوس بـ ٢٧سم وتقع في ستة أسطر. تتميز سطورها بالاستقامة، وكتابتها بالتناسب والتناسق والقرمطة ما بين الحروف والكلمات.

بلغ ارتفاع صواعدها الطويلة ٤سم وعرضها ١سم والمنخفضة وصل ارتفاعها إلى ٥سم ضاع من النص بعض الكلمات خاصة في نهاية السطر الرابع والخامس

^{٣٤} عبد الحق معزوز ولخضر درياس: مرجع سابق، ص ٣٦، ٣٧، ينظر أيضا:

Brosselard : op-cit ; p p6,194 ;

حيث نسجل ضياع كلمة "ابن" في نهاية السطر الرابع وكلمة "تسعة" في نهاية السطر الموالي والتي لم يبق منها إلا حرف "التاء"^{٣٥}.

*** الحرة:**

الشاهد : ص ٢٩، لوحة رقم ٨.

النص:

نقرأ في كتابة هذا الشاهد النص التالي:

- ١/ الحمد لله هذى (كذا). / ٦/ زوجة السلطان الملك الطاهر./
٢/ قبر الحرة الجليبة النعمة./ ٧/ الأصيل أبي عبد الله محمد أيده./
٣/ المرحومة ملوكة بنت./ ٨/ الله توفيت في شهر الله رجب./
٤/ الشيخ المرحوم عثمان./ ٩/ عام سبعة وستين وثمانماية (كذا).
صاحبة الشاهد هي المرحومة ملوكة بنت الشيخ عثمان بن مشعل الذي لانعرف عنه شيئاً، غير أن عنصر اجديدا ظهر في كتابة الشاهد تمثل في ذكر اسم الزوج وهو السلطان الملك أبي عبد الله محمد، الذي تولى زمام الحكم سنة ٨٦٦هـ/ ١٤٦٢م أي عام قبل وفاة زوجته ملوكة^{٣٦}.

الوصف:

شاهد قبر عبارة عن لوحة مسطحة من الرخام ذي اللون الأبيض في حالة جيدة، لم يصبه أي تلف في الجزء المنقوش باستثناء كسر على الجهة اليمنى أسفل الشاهد. يحتل النقش في ثلثي مساحة الشاهد، من ذلك بلغت مساحة الحقل ٤٠سم×٣٠سم، يقع النص داخل إطار تعلوه قوس حدوية الشكل، بينما ملئ الفراغ المحصور بين القوس وأركان الإطار بزخارف نباتية.

نقشت الكتابة الشاهدية بخط مغربي جميل، نفذت بأسلوب النقش البارز على أرضية تزينها زخرفة نباتية عبارة عن مراوح مزدوجة ووريدات ذات ثلاث بتلات، مزودة بنقط الإعجام. تتميز سطورها بالاستقامة، والتناسق فضلا عن التناسب بين مختلف الكلمات والحروف، يبلغ ارتفاع صواعدها الطويلة ٣,٥سم وعرضها ٥,٥مم والمنخفضة وصل ارتفاعها إلى ٥,٥سم.

أما من حيث الجانب الإملائي واللغوي فقد وقع النقاش في خطأ إملائي عندما كتب اسم الإشارة "هذا" في السطر الأول بدون ألف، وكلمة "ثمانماية" في آخر السطر بدون ألف^{٣٧}.

^{٣٥} عبد الحق معزوز ولخضر درياس: مرجع سابق، ص ٣٦، ٣٧. ينظر أيضا:

Brosselard : op-cit ; p 6, 194 ;

^{٣٦} هو محمد المتوكل على الله، للمزيد من المعلومات عنه، ينظر، لتتسي: نظم الدر، ص ٢٥٤.

^{٣٧} عبد الحق معزوز ولخضر درياس: مرجع سابق، ص ٣٦، ٣٥.

الشاهد : ص ٣٠، لوحة رقم ٩.

النص:

تتكون كتابة الشاهد من النص الآتي:

- ١/ الحمد لله./
٢/ هذا قبر الحرة المصونة./
٣/ الدرة الكنونة أمة./
٤/ الحق بنت السيد الفقيه./
٥/ العالم العلم أبي العباس؟ أحمد./
- ٦/ العقباني توفيت أول./
٧/ جمادى الأخرى عام./
٨/ أربعة وستين./
٩/ وتسعمائة./

الوصف:

يحمل الشاهد نسب المتوفاة دون ذكر اسمها وهي امرأة بنت الفقيه أبي العباس أحمد العقباني، هذه البنات مجهولة الاسم هي أخت طولة ابنت أبي العباس أحمد المتوفاة عام ٩٧٦هـ/ ١٥٧١م، أي خمسة عشر سنة بعد وفاة أختها^{٣٨}.

شاهد قبر من الحجر الرملي مسطح ومستطيل الشكل، زين الشاهد بقوس مفصصة شبه دائرية يحيط بها غطار يبلغ عرضه ٣٠سم بداخله يمتد شريط زخرفي نباتي، وتشغل تشكيلة زخرفية نباتية الأركان المحصورة بين القوس والإطار.

نقش على الشاهد كتابة شاهدة بخط مغربي، نفذت بأسلوب النقش البارز، تشغل الحقل المحصور بين أحضان القوس وتقع في تسعة أسطر. وتحتوي على نقط الإعجام وحركات الإعراب خالية من الظواهر الزخرفية. ذات سطور مستقيمة وحروف متناسبة ومتناسقة الكلمات، من ذلك بلغ ارتفاع صواعدها الطويلة ٣٠سم وعرضها ١٠سم والمنخفضة ١٠سم، بينما بلغ أطول سطر في هذه الكتابة ٥٥،٥سم. يلاحظ تكرار كلمة "العالم" بصغتين مختلفتين الأولى "العالم" والثانية "العلم" من دون ألف لاندرى ماذا أراد بها النقاش أو صاحب النص، هل لكل منهما مدلول يختلف عن الآخر أم أنه مجرد خطأ وقع فيه الفنان والمراد به العلامة^{٣٩}.

الشاهد: ص ٣١، لوحة رقم ١٠.

النص:

نقرأ في كتابة الشاهد النص التالي:

- ١ – الحمد لله./
٢ – هذا قبر الحرة المصونة./
٣ – الماجدة الجميلة رحمونة./
٤ – بنت السيد الفقيه أبي./
٥ – عبد الله محمد ابن./
- ٦ – القاضي أبو يحيى./
٧ – العقباني توفيت عفا الله عنا وعنهما./
٨ – سابع عشر ذي القعدة عام ثلاثة./
٩ – وسبعين وتسعمائة./

^{٣٨} Brosselard : op-cit ; p p6,194 ;

^{٣٩} عبد الحق معزوز ولخضر درياس: مرجع سابق، ص ٣٦، ٣٥.

تحمل الكتابة اسم امرأة تدعى رحمونة بنت أبي عبد الله محمد بن القاضي أبي يحيى، توفي أبوها سنة ٩٤١هـ / ١٥٣٤م، ذكر الاستاذ معزوز أن قاسم العقباني هو الأول من نال لقب مفتي تلمسان، والأصح الجد الكبير ابوه قاضي الجماعة سعيد العقباني (ت ٨٠٨هـ) ^{٤٠}.

الوصف:

شاهد قبر عبارة عن لوحة مسطحة، مستطيل الشكل من الحجر الرملي، زين بقوس مفصصة شبه دائرية يحيط بها إطار يبلغ عرضه ٠٤م، يمتد بداخله شريط زخرفي نباتي، وتشغل تشكيلة زخرفية نباتية الأركان المحصورة بين القوس والإطار، تبلغ مساحة الشاهد المشغولة بالنقوش ٤٢سم × ٤٣سم، وهي بذلك تغطي أكثر من ثلثي المساحة الكلية للشاهد.

نقشت على وجهه كتابة شاهدية بخط النسخ المشرقي، نفذت بأسلوب النقش البارز على أرضية تزينها عناصر زخرفية نباتية كالمراوح والوريدات الثلاثية الفصوص، مزودة بنقط الإعجام وحركات الإعراب، تقع في تسعة أسطر شاغلة الحقل المحصور بين أحضان القوس المفصصة والمستطيل الواقع أسفله، وتتميز الكتابة بنوع من استقامة سطورها وتناسب حروفها واتساقها معا ما عدا السطور الثلاثة الأخيرة، وظف الفنان إلى جانب خط النسخ بعض الحروف من الخط المغربي الأندلسي أما ما يتعلق بالأخطاء الإملائية فنلاحظ نفس الخطأ في كلمة ابن تتكرر كما اختفى حرف الواو من كلمة وعشرين. بلغ ارتفاع صواعدها الطويلة ٠٤سم وعرضها ٠١سم والمنخفضة بلغ ارتفاعها ٠١سم، وأما أطول سطر فيها فقد بلغ ٣٨سم ^{٤١}.

الشاهد : ص ٣٢، لوحة رقم ١١.

النص:

تتضمن هذه اللوحة النص الآتي:

- ١ - الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم/.
- ٢ - هذا تقبيد أحباس مسجد السيدة الغربية بالقرآن السفلي نفعنا/.
- ٣ - الله ببركاتها ءامين أول ذلك دار بقرب المسجد المذكور بزاء/.
- ٤ - دار بن حباية ثم نصف دار شركة السيد محمد العزوز ثم دار/.
- ٥ - بتمامها تحت الصابة ثم أيضا دار فوقها بتمامها تقابل المحراب ثم/.
- ٦ - خارج الحومة قبالة باب الدرب أربعة حوانت ثلاثة كبار ووا/.
- ٧ - حدة صغيرة بينهم مع إسطلب مع مصرية فوق الإسطلب ثم طراز قبا/.
- ٨ - لة الدرب الوسطى بتمامه ثم حانوت بالمدرس تقابل حوانيت أولاد/.

^{٤٠} نبيلة عبد الشكور: م س ، ص ص ١٦ ، ٤٥٩.

^{٤١} عبد الحق معزوز ولخضر درياس: مرجع سابق، ص ص ٣٦، ٣٥.

- ٩ - بودغن ثم حانوت بالخرازين بتمامها تقابل حاونت بن احمد ثم/.
 - ١٠ - طراز بالقسارية في المكراط زوج مراكز ثم أيضا النصف في الطراز/.
 - ١١ - الكبير بالقسارية شركة الحاج البيدري ولد بالقاسم/.
 - ١٢ - بن؟ أما زوج مراكز منه حبستهما الولية فاطمة بنت بن/.
 - ١٣ - جبور زوج السيد محمد بن حبايا اشترتهما من زوجها بثلاثين/.
 - ١٤ - سلطاني ذهبا وحسبتهما على المسجد المذكور وأما/.
 - ١٥ - المركز الثالث في الطراز المذكور تعاوض فيه محمد بن حباية/.
 - ١٦ - مع جماعة المسجد بأن خرج بن حباية عن المركز ودفعه/.
 - ١٧ - في مقابلة الثلث في الإسطبل الذي هو بداخل الدرب شركة/.
 - ١٨ - بن حباية بالثلثين الباقيين ثم السدس في دار بن القصير في درب/.
 - ١٩ - المغبر ثم سكتان بمشعر بن سكران تسمى أم العيال واحدة/.
 - ٢٠ - حبس على المسجد والأخرى على تنبيه الأنام ثم سكة تسمى/.
 - ٢١ - العالية بالمكان المذكور ثم سكتان أيضا بالولجة تسمى/.
 - ٢٢ - الترصوني ثم سكة تسمى المزروع بالمكان المذكور شركة/.
 - ٢٣ - جامع الشرفة ثم سكة تسمى بومية ببلد العوامر بقرب أل/.
 - ٢٤ - سنصال ثم فرد في الصمعة بالجمعة شركة أولاد البجاو/.
 - ٢٥ - بالفرد الآخر ثم فرد اعмир يسمى بتمامعطيت حبسه الد (كذا) محمد/.
 - ٢٦ - بن عم حمدان على تنبيه الأنام ثم سكتان يقال لهما البريذية/.
 - ٢٧ - بمقطع عايشة ثم الربع في عرصة معاوية ثم/.
 - ٢٨ - أربعة أسفار من كتاب تنبيه الأنام حبسا على المسجد/.
 - ٢٩ - ثم سيد السمرقندي ثم سيد عبد الكريم المغيلي على/.
 - ٣٠ - الوغليسية ثم سفر يتكلم على أحوال الآخرة منسوب/.
 - ٣١ - لسيد السيوطي مع سيد الجوزي في سفر واحد حبسته/.
 - ٣٢ - فاطمة بنت بن جبور على المسجد المذكور/.
- تعالج هذه الكتابة موضوع الحبس الذي أوقفته السيدة الفاضلة فاطمة بنت منور زواج ابن محمد بن حنايد، على مسجد السيدة الغربية حي القرآن بمدينة تلمسان وقد عاشت في فترة غير محددة التاريخ وكان سكان الحي يقدرونها ويبالغون في ذلك للكرامات التي كانت تتمتع بها قبل وبعد وفاتها وهي مدفونة بمسجد القرآن، وفيه نقرأ كل العقارات والأشياء التي أوقفت على المسجد بكل تفصيل وتوضيح، كما نجد تفصيلا للإجراءات التي تمت بموجبها عملية التبادل بالتراضي والشراء لهذه الأوقاف، فهي إذن وثيقة تاريخية في غاية الأهمية.

الوصف:

لوحة من حجر الرخام مستطيلة الشكل رمادية اللون، عبارة عن بلاطة، نقل اتساعا في جزئها السفلي المغروس في التراب عن الجزء العلوي. نقشت عليها كتابة تسجيلية بخط النسخ خليط ببعض الكلمات المنقوشة بأسلوب الخط المغربي، نفذت بأسلوب النقش البارز على أرضية خالية من الزخرفة، تحتوي على نقط الإعجام وحركات الإعراب تتميز باستقامة سطورها وتناسب حروفها بالرغم من صغر حجمها وعدم قرمطة ما بين الكلمات والحروف حسب مقتضيات الكلمات، بالإضافة إلى ما سبق ذكره فهناك كلمات استعصيت قراءتها قراءة صحيحة لعدم تبيانها ووضوحها بالصورة التي تمكنا من فك رموزها مع المحاولات العديدة التي قمنا بها من ذلك الكلمة التي تلي القرآن في السطر الثاني، وكلمة أخرى في السطر العاشر القسارية في " لا نعرف هل هي المرعاص، أو المرعاط" فالكلمة غير واضحة للقراءة، ثم كلمة مربع؟ في بداية السطر ٢٤، وأما الأخطاء الإملائية فهي قليلة بالنظر لطول النص من ذلك على سبيل المثال كتابة الإسطبل في السطر السابع بحرف الصاد عوض حرف السين، وكلمة البجاوي في السطر الرابع والعشرين بدون ياء النسبة، وتقع في اثنين وثلاثين سطرا. شاغلة بذلك حقلا يغطي تقريبا معظم مساحة اللوحة. يبلغ ارتفاع صواعدها الطويلة ٢,٥سم وعرضها ٥,٥مم والمنخفضة بلغ ارتفاعها ١,٥سم ومساحة الحقل المشغول ٥٠سم×٤٢سم.

- **** (١) عبد الحق معزوز ولخضر درياس: مرجع سابق، ص ٣٦، ٣٥.
**** (٢) نفسه، ٣٦.
**** (١) عبد الحق معزوز ولخضر درياس: مرجع سابق، ص ٣٦، ٣٥.
**** (٢) نفسه، ٣٦.

النتيجة:

— لعل من النتائج الهامة التي توصلنا إليها من هذه الدراسة المتواضعة، هو كشفها النقاب عن حضور نساء في بلاد المغرب الأوسط، إذ أن معظم الدراسات الحديثة لم تول اهتماما بها، وذلك لقلّة المصادر التاريخية، ومن ثم فإن هذه الدراسة ستفتح آفاقا أخرى للبحث في بعض الجوانب المهمشة من التاريخ الاجتماعي والثقافي لمجتمع المغرب الإسلامي على العموم والمرأة المغربية خصوصا.
— تقف شواهد قبور المرأة في المغرب الأوسط شاهد صدق على تقليد مغربي أصيل، وهو قيام المرأة مع الرجل على قدم المساواة في دفع مسيرة الحياة العامة، في كل وقت ما حفلت به تلك الحياة من نشاط عمران حضاري زاهر .
— شاركت المرأة التلمسانية في كثير من أعمال الخير والبر والإحسان، مما كان له أثر طيب في المجتمع الزياني، وكثير من النساء كانت لهن المآثر الخيرية، فقد كانت

في كثير من الأحيان أكثر إغداقا من الرجال في الإنفاق بأموالهن الخاصة لأعمال البر والإحسان سواء من حيث بناء المساجد والجوامع والمدارس والكتاتيب أو في النفقة على الفقراء والمساكن وطلبة العلم، أو في تحببب أموالها وممتلكاتها للصالح العام مما يعود نفعه على الإسلام والمسلمين.

— ومن خلال الدراسة على مستوى اللفظ ، وعلى مستوى النص بسياقاته، نلاحظ أن المجتمع خص المرأة بكم هائل من الأسماء واللقاب التي أمدتنا بها المجالات الدلالية في موضوعات متنوعة — مما يؤكد أهمية المرأة في البيئة المغربية باعتبارها عضوا فاعلاموثرًا في كل مناحي الحياة.

— كما أبرز المنهج التحليلي أن واضعي اللغة خصوا المرأة بألفاظ (أسماء وألقاب) انفردت بها ، وبألفاظ اشتركت فيها مع الرجل.

— مهما أُلصقت بالنساء من صفات، يبقى حضورها كبير لأن التاريخ لا يصنعه الرجال وحدهم، فلم يتم ما أنجز من نجاحات أو إخفاقات إلا بمساهمة الجنسين معا كل بطريقته.

— إن عملنا المتواضع هذا لا يهدف إلى إنصاف المرأة، أو الدفاع عنها، بل يعتبر التفاتة كان لا بد منها، باعتبارها نصف المجتمع، ورغم ذلك فهو مهمل في أغلب النصوص، كما لا ندعي أننا استوفينا البحث بصورة شاملة، بل مازال في حاجة إلى من يقويه ليشع أكثر.

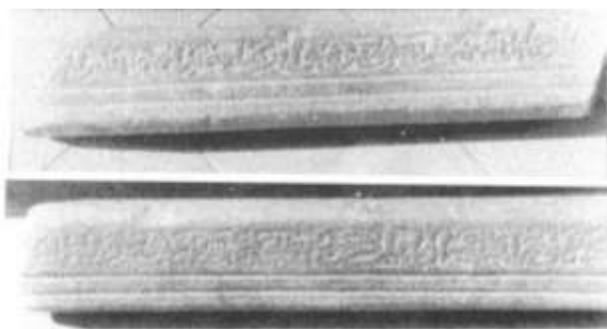
وأخيرا نحمد الله تعالى الذي بنعمته تتم الصالحات ويستقيم الأمر في الأرض وفي السموات، على أن وفقنا في إنجاز هذا العمل، الذي نقر فيه بقصورنا وعجزنا، وعزاننا في ذلك أنها محاولة مبتدئة لاتزال تخطو خطواتها الأولى في طريق طويل، ولكننا نرجو أن نقدم هذا العمل — على ما فيه — إسهاما في الحضارة الإسلامية.

- المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم

- التنسي: محمد بن عبد الله بن عبد الجليل الحافظ: (ت ٨٩٩هـ/١٤٩٣م): تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدرر والعقيان في شرف بني زيان، تح، محمود بوعياد، م، و، ك، ١٩٨٥.
- ابن خلدون: أبو زكريا يحيى بن محمد (ت ٧٨٠هـ/١٣٧٨م) : بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد، تحقيق، حاجيات عبد الحميد، المكتبة الوطنية، ج ١، ١٩٨٠، الجزائر.
- ابن أبي زرع: أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسي (كان حياً قبل ٧٢٦هـ/١٣٢٥م): ابن أبي زرع: الذخيرة السننية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور، الرباط، طبعة ١٩٧٢م.
- ابن عبد ربه: العقد الفريد، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط ٣، ١٣٨٤هـ/١٩٦٥م.
- عياض: القاضي أبو الفضل اليحصبي السبتي (ت ٥٣٣هـ / ١١٤٩م): ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق، سعد أعراب، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، د. ت.
- الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، دار الريان للتراث، القاهرة، ط ١٩٨٧، ٣.
- القلقشندي: أبو العباس أحمد بن علي (ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م) : صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، القاهرة ١٩١٣، الطبعة الأميرية، القاهرة، د. ت .
- ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط ١، ١٩٩٢، ص ١٨١.
- الوزان: حسن بن محمد الفاسي (ت ٩٥٧هـ/١٥٥٢م): وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، جزآن، ١٩٨٠.
- الونشريسي: أبو العباس أحمد بن يحيى (ت ٩١٤هـ/١٥١١م) : المعيار المعرب والجامع المغترب في فتاوى أهل افريقية والمغرب، أخرجه جماعة من العلماء بإشراف محمد حجي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، ط ١٣، ١٩٨١، ١٣ جزء.
- عبد المنعم سيد عبد العال: الشامل لجموع التصحيح والتكسير في اللغة العربية، مكتبة غريب، ط ١، ١٩٨٢.
- عبد الشكور نبيلة: القضاء والقضاء في عهد الدولة الزيانية، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، ١٩٩٧.
- فيلاي عبد العزيز: تلمسان في العهد الزياني، موفم للنشر والتوزيع، جزآن، الجزائر، ٢٠٠٢.
- معزوز عبد الحق و درياس لخضر: جامع الكتابات الأثرية العربية بالجزائر، الجزء الثاني، مجموعة متحف تلمسان، مطبعة سومر، الجزائر، ٢٠٠١.
- Brosselard Charles; Memoire epigraphique et historique sur les tembeaux des emirs Beni - Zeiyan , Journal Asiatique, Janvier-Fevrier, 1878, pp6, 194 ;

ملحق اللوحات:
لوحة رقم ١



لوحة رقم ٢



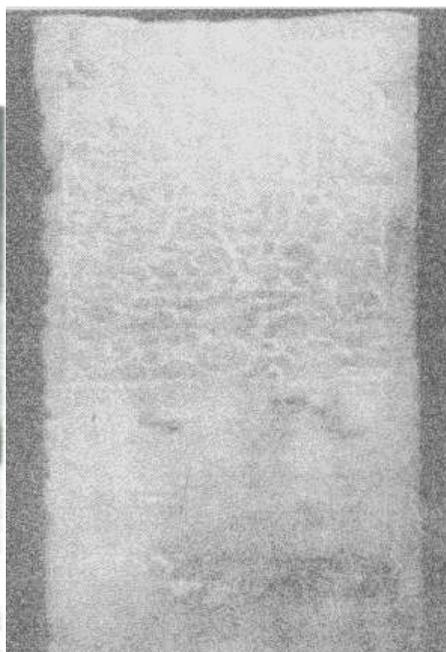
لوحة رقم ٤



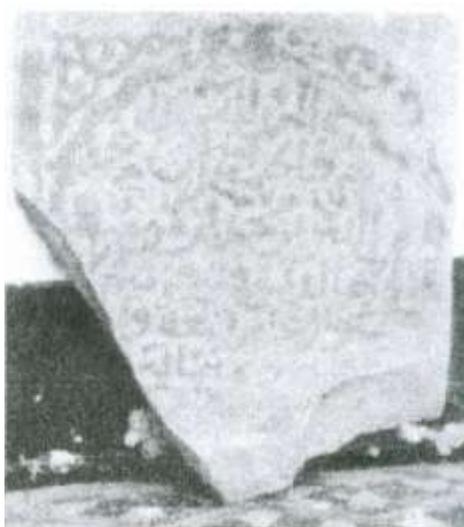
لوحة رقم ٣



لوحة رقم ٥



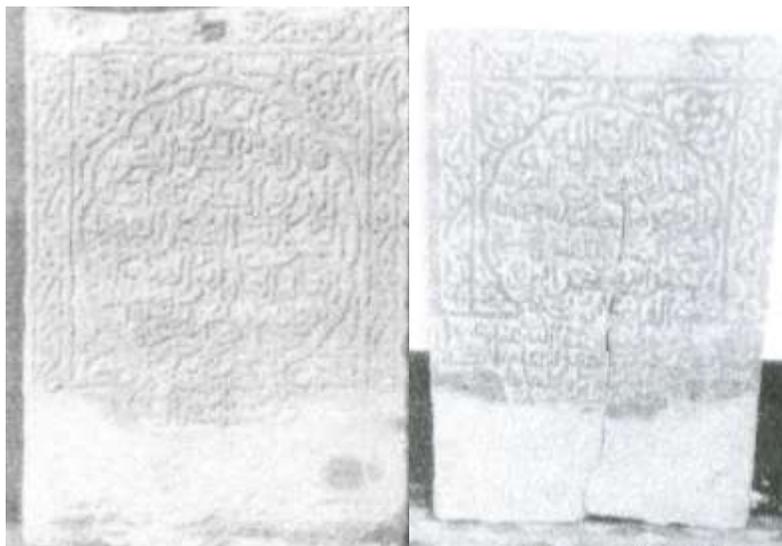
لوحة رقم ٦



لوحة رقم ٧



لوحة رقم ٨



لوحة رقم ٩

لوحة رقم ١٠



لوحة رقم ١١